

(١)

الانتماء للوطن وفضل الشهادة في سبيله

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه العزيز: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزِّقُونَ}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ... أما بعد :

فإن حب الوطن والانتماء إليه قيمة إسلامية أصيلة ، فهو أعلى ما ينعم به الإنسان بعد الإيمان بالله ورسوله ، كما أنه فطرة جبلت عليها الطباع السليمة ، وأمر يوجبه الشرع الحنيف ، وتفرضه الوطنية المخلصة ، حيث سوى الله تعالى بين قتل النفس والإخراج من الديار في صعوبة كل منهما على النفس البشرية ، فقال تعالى: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ...}

ولقد ضرب لنا النبي (صلى الله عليه وسلم) أروع الأمثلة في حب الوطن ، حيث قال (صلى الله عليه وسلم) لِمَكَّةَ : (مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدَةٍ وَأَحَبَّكَ إِلَيَّ ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا خَرَجْتُ).

وكان (صلى الله عليه وسلم) يقلب وجهه في السماء رجاء أن يجعل الله قبلته إلى بيته الحرام بمكة المكرمة مسقط رأسه (صلى الله عليه وسلم) حيث يقول الحق سبحانه: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ

(٢)

فَلْتُولِيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ...{.

إن الانتماء للوطن يوجب على أبنائه أن يعتزوا به ، وأن يتكاتفوا جميعاً للحفاظ عليه ، وأن يسهموا بقوة في نهضته بالعلم والعمل والإنتاج ، والمشاركة في الأعمال التطوعية التي تخدم المجتمع ، والمرابطة على ثغوره لتأمين حدوده ، وردع كل حاقد تسول له نفسه أن يعتدي على الوطن أو منشآته أو ممتلكاته ، وإن أدى ذلك إلى بذل النفس والمال لنيل الشهادة في سبيل الله دفاعاً عن الوطن أو ارتقاءً به .

لذا جعل الإسلام حراسة الأوطان والدفاع عنها واجباً شرعياً وضرورة وطنية وعدّها من أفضل الأعمال عند الله تعالى ، وقد بشر النبي (صلى الله عليه وسلم) حراس الوطن بأن النار لن تمس أجسادهم ، بقوله (صلى الله عليه وسلم): (عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ ، عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) ، والعين هنا مراد بها الجسد كله ، غير أنه (صلى الله عليه وسلم) عبّر بالعين كونها تحرس وتراقب .

وفي هذه الأيام المباركة تحتفل مصر وشعبها بذكرى من أعظم الذكريات ، هي ذكرى انتصار أكتوبر المجيدة ، وفيها لا بد أن نذكر شهداء مصر الأبرار الذين خاضوا معارك العزة والكرامة ، وبذلوا الغالي والنفيس ، بل بذلوا أرواحهم دفاعاً عن أرضهم ، وعرضهم ، ووطنهم ،

(٣)

وسطروا أسمى معاني البطولة والفداء والتضحية بكل ما يملكون ، فنالوا شرف الدنيا وكرامة الآخرة .

والشهادة تعني بذل النفس والمال نصرة لدين الله (عز وجل) ، ودفاعاً عن الوطن والأرض والعرض والمال ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخَذَ مَالِي؟ قَالَ : (فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ) قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ : (قَاتِلْهُ) قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ : (فَأَنْتَ شَهِيدٌ) قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ : (فَهُوَ فِي النَّارِ) .

والشهادة تجعل صاحبها في صحبة الأنبياء والصديقين ، فقد جمع الله تعالى بين النبوة والشهادة في قوله تعالى: { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا } ليؤكد على فضل الشهادة ، ومكانة الشهداء عند الله (عز وجل) ، فهم أرفع الناس درجة بعد الأنبياء والصديقين ، وهم المصطفون باصطفاء الله لهم ، قال تعالى: { وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ } ، لذا وعدهم الله بحياة فوق إدراك البشر لا مثل لها ، فهم في ذاكرة الأمة مخلدون وعند ربهم (عز وجل) أحياء يرزقون قال تعالى: { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ } ، أرواحهم في حواصل طيور خضر لها

(٤)

قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة كيف شاءت ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأَحَدٍ ، جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا ، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ ، فَلَمَّا وَجَدُوا طَيْبَ مَا كُلُّهُمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ ، قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا أَنَّا أَحْيَاءُ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ ، لِنَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ ، وَلَا يَنْكُلُوا عَنِ الْحَرْبِ ؟ فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} .

فهنيئاً لرجال مصر الأوفياء وشهادتنا الأبرار خاصة الذين أحيوا في شعب مصر روح الكرامة والمروعة والعزة ، واستطاعوا أن يحفظوا لمصر مكانتها وهيبتها بين الأمم والبلاد ، والذين ما زالوا يبذلون نفوسهم في سبيل هذا الوطن لمواجهة الإرهاب الأسود الغاشم ، والجماعات التكفيرية الضالة المضلة .

إن فضل الشهادة في سبيل الله ، والرغبة فيما عند الله هو الذي جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول لأصحابه في غزوة بدر : (قوموا إلى جنّة عرضها السموات والأرض ..) ، كما جعل حنظلة (رضي الله عنه) يطلب الشهادة ليلة عرسه فينالها فيلقب بغسيل الملائكة ، ولن ينسى المسلمون موقف أنس بن النضر (رضي الله عنه) في غزوة أحد ، وخالد بن الوليد

(٥)

في غزوة مؤتة ، وعمرو بن الجموح وغيرهم من الصحابة والتابعين .
إنهم أصحاب الصفقة الرابعة مع الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ
أَدْرَأَكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ } ، فهم الذين تاجروا مع الله
بأنفسهم وأموالهم ، فوعدهم الله جنة عرضها السموات والأرض فقال
تعالى: { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ } ،
فالسَّلعة أرواحهم ودمائهم، والتمن هو الجنة ، إنها ليست جنة واحدة
وإنما هي جنان ، حيث قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لَأَمْ حَارِثَةَ حِينَ
استشهد ولدها في غزوة بدر: (يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جَنَّانٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ
ابْنَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى).

إن فضل الشهادة في سبيل الله جعل النبي (صلى الله عليه وسلم))
يتمنى أن لا يتخلف عن سرية ، وأن يُقْتَلَ في سبيل الله مرات عديدة ،
فقال (صلى الله عليه وسلم) : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا أَنَّ رِجَالًا مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ لَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي ، وَلَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مَا
تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَعْرُؤُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي
أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ
أُقْتَلُ) ، وهو ما يجعل الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا لينال الشهادة في
سبيل الله عدة مرات ، يقول: (صلى الله عليه وسلم): (مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ

(٦)

الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنَّ لَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِ الشَّهِيدِ ، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ فَيَقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكِرَامَةِ) .

لأجل ذلك أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الشهيد لا ينقطع عمله الصالح ، بل يزيد ويتضاعف ويأمن من فتنة القبر ، قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَيْهِ عَمَلُهُ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُنَمَّى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ).
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى .

لقد بشر النبي (صلى الله عليه وسلم) الشهداء ببشارات عظيمة تؤكد على فضل الشهادة في سبيل الله وترغب فيها ، منها قوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُعْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَيَجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، وَيُسْفَعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ).

ومنها أن الشهداء يدخلون الجنة مع أول من يدخلونها بغير حساب ولا سابقة عذاب ، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (...إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْعُو

(٧)

يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْجَنَّةَ ، فَتَأْتِي بِزُخْرُفِهَا وَرِيَّهَا فَيَقُولُ : أَيَّنَ عِبَادِي الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِي ، وَأُودُوا فِي سَبِيلِي ، وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِي ، ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ، فَيَدْخُلُونَهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وَلَا عَذَابٍ ، فَتَأْتِي الْمَلَائِكَةُ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا نَحْنُ نُسَبِّحُ لَكَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَتُقَدِّسُ لَكَ مَنْ هُوَ لَاءِ الَّذِينَ آتَرْتَهُمْ عَلَيْنَا ؟ فَيَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : هُوَ لَاءِ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِي، وَأُودُوا فِي سَبِيلِي، فَتَدْخُلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ كُلِّ بَابٍ "سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ".

اللهم إنا نسألك شهادة صادقة في سبيلك ، كما نسألك أن تحفظ لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، ودينانا التي فيها معاشنا ، وآخرتنا التي إليها معادنا ، وأن تجعل الحياة زيادة لنا من كل خير والموت راحة لنا من كل شرٍّ ، وأن تحفظ مصرنا ، وأن تجعلها أمناً أماناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد العالمين .